

## حوار الحضارات كأفق للعيش المشترك

عبد الرحمان خرشي<sup>1</sup>، محمد بومانة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> abdouphilo@hotmail.com، جامعة الأغواط،

<sup>2</sup> boumana76@yahoo.fr، جامعة الجلفة،

تاريخ الإرسال: 2018/10/20؛ تاريخ القبول: 2019/03/19

### The dialogue of civilizations as a prospect for coexistence

#### Abstract:

This research addresses the dialogue of civilisations and its role in establishing the coexistence culture in a world of multi-religions and multi-cultures. We aspire to affirm the legitimacy of the dialogue of civilisations.

Even we are in a time of wars that are based on religious and sectarian background. I think that the only way to live together is to engage in dialogue to know each others .

despite the optimism over successful there are many real difficulties that face I, especially the growing tendency of war of all kinds, the excessive obsession of armaments..and the false view to the others.

Therefore, the dialogue of civilisations requires further intellectual work, and a courage from both politicians and intellectuals.

**Keywords.** Dialogue; Diversity; co-existence; The other; Understanding.

### الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الحوار الحضاري ودوره في التأسيس لثقافة العيش المشترك في عالم متعدد الأديان والثقافات و الحضارات ، ونطمح من خلال ذلك إلى التأكيد على مشروعية دعوى الحوار والتعارف الحضاريين حتى وإن كنا في زمن يعج بالحروب ذات الخلفية الدينية والطائفية، فالسبيل الوحيد للعيش المشترك إنما يكمن في الحوار بما يتضمنه من فهم للآخر وتفاهم معه.

غير أن تفاؤلنا بنجاح الحوار بين الحضارات والثقافات لا يمكن أن يجعلنا نغفل عن الصعوبات الواقعية العديدة التي تعترضه، خاصة تلك النزعة المتنامية للحرب بشتى أنواعها و الهوس المفرط بالتسلح و النظرة الخاطئة للآخر، خاصة في الغرب.

وعليه، فإن الحوار الحضاري يتطلب مزيدا من العمل الفكري والميداني، وكثيرا من الجرأة من السياسيين والمثقفين على حد سواء.  
الكلمات المفتاحية: الحوار؛ التنوع؛ العيش المشترك؛ الآخر؛ الفهم.

### مقدمة:

ثقافات العالم متنوعة بتنوع المشارب الحضارية والمعتقدات الدينية ونظم المعاش المشكّلة للوعي الإنساني، المتكثّر تكوينيا وعلائقيا إلى حد لا نهائي. ولأنّ البشر محكومون بالعيش سويا في عالم واحد، فقد دعت ضرورات الحوار إلى البحث عن مساحات مشتركة للتعاون والتفاهم عبر تاريخ اللقاء الطويل بين الأفراد والمجموعات والشعوب. لقد تراوحت شبكة العلاقات الكثيفة في هذا العالم بين فترات السلم والحرب والاستقرار والتوتر والتخطيط للمواجهة وصد الغزاة والجوسسة وحمى التسلح وتوازن الرعب وتجديد الإعلام... وأخيرا، يشهد العالم ثقل الصدمة المعلوماتية التي أصبحت تحاصر البشر في قرى إلكترونية، حيث تشكل المعرفة سلطة حقيقية للهيمنة و بسط نفوذ الغرب المنتصر حضاريا على البقية، لذلك - و بدون مقدمات - يعتقد المرء أحيانا أن حوار الحضارات مجرد طموح تفصله مسافات بعيدة، أو لنقل أنها أمنية دونها موانع كثيرة، فهو تفسير غير واقعي و لا منطقي لواقع الكيانات الحضارية و منطقتها، و في أحسن الأحوال، صورة رومانسية لعالم متخيل قد لا يتطابق مع العالم الحقيقي.

ومع ذلك، فإن الطرح المذكور يُبطن في ذاته جملة من المغالطات وكثيرا من التشاؤم، فقد وجدت فكرة حوار الحضارات تيارا من المفكرين والفاعلين الذين تأسست قناعاتهم على رؤية أكسيولوجية للعيش المشترك في عالم أكثر عدلا و أمانا للجميع. إنه طرح ينحاز كليا للإنسان ويستبعد منطق العصبوية السجالية الضيقة، محاولا تبديد الصور النمطية السلبية و الشعارات الحاملة لألوان العداة للآخر الإثني والديني والحضاري.

ولعل الإشكاليات الأساسية التي نود مناقشتها في هذا المقال هي: ما هي مفاعيل الخطاب الإسلامي والغربي في تحديد الصورة المثلى لعالم أفضل؟ وما هو الدور المحتمل لثقافة التسامح في إرساء دعائم ذلك الحوار وتثبيت قواعده؟ وإلى أي مدى يمكن أن يكون حوارا بناءً ومثمرا كطريقة في التفكير والفعل أكثر منه جملة من الأفكار والنصوص.

### المرافعة لصالح الحوار :

لقد تداعت جموع من النخب السياسية و العلماء و المفكرين من العالمين الإسلامي و الغربي إلى اختلاق رؤى إستراتيجية تحاول إذابة دعوى الصراع الحضاري المنبثقة عن سوء الفهم أو الجهل بالآخر و ربما النظرة المجافية لجمالية التكامل البشري والحاملة لشعارات الندية والعداء،

و فضلا عن المشكلات الجدية الحاصلة بين أطراف المجتمع الدولي، وما نجم عنها من صناعة للخراب في العالم، ارتفعت أصوات المنادين بالحوار كضرورة حضارية راشدة، فأمن روجي غارودي به وكتب عنه، وكذلك فعل محمد خاتمي ودعا إليه، و توالى الدعوات فعقدت الندوات العالمية، و انتشرت التآليف و الأعمال المرجعية في سبيل التأسيس لثقافة الحوار، حوار الثقافات على أساس أن «التنوع والتعدد الثقافي حق طبيعي يؤسس للثقافات البشرية فضاء حيويا للنمو والفتح والازدهار والتبادل في أحضان حضارة إنسانية يؤمل دائما أن تكون رحبة لجميع مكوناتها..» ( عبد الرزاق الدواي، 2012: 179 ).

ذلك هو الأفق الرحب الذي تتحرك فيه أطروحة الحوار، للاغتناء بتجارب الكيانات التاريخية والجغرافية الأخرى، والاستفادة من إمكاناتها الغنية، فالمشكلة ليست في تنوع العلب الحضارية حسب تعبير أمارتياصن، وإنما في طريقة تعاملها مع بعضها، بل وفي داخل الكتلة الحضارية الواحدة، فقد قامت نزاعات وتحالفات وحروب بين الأوربيين وبينهم وبين العرب المسلمين على مدار القرون الماضية، عرف القرن الأخير أكثرها بربرية ودمارا.... ولا زالت شحنات العداة تحصد نفوسا بريئة في أصقاع كثيرة من عالم اليوم» ومع المزيد من تجارب الصراع عبر القرن العشرين وما مر من القرن الحادي والعشرين تتأكد حقيقة أن

السلم الدولي يحتاج علاقات إنسانية وثقافية، تقوم على الاقتراب الحقيقي لا على تعليب الثقافات.» ( ممدوح الشيخ، 2007: 79).

وهي الدعوة التي سبق أن دفع بها المفكر الفرنسي روجي غارودي إلى أقصى الحدود الممكنة، فقد دافع عن الأبعاد الإنسانية للحضارة، وكانت دعوته للغرب أن يعوض الفرص المفقودة في فضاء الهيمنة على حضارات العالم الآخر، وأن يرى جمالياتها الدينية والفنية والأدبية، ويبحث عن الحلول لتصحيح مساره، بعد أن وصل خلال القرون الأخيرة إلى مأزق خطير.

ويستشعر القارئ لكتاب «حوار الحضارات» أن المعاني التي حملها لم تقرأ فعلا كما أراد لها غارودي، وروح التسامح العابرة للقارات والأجناس والديانات لم تجد صدورا رحبة تستلهم منها تجربة إنسانية جديدة، فالمشكلة حسبها هي «مشكلة إحداث تغيير جذري في النموذج الغربي لعلاقتنا مع الطبيعة، بفضل حكمة الصين وإفريقية والهند والإسلام، مشكلة إقامة توازن في مفهومنا ذي النزعة التقنية، بالإفادة من تجربة حية وشعرية وصوفية، هي تجربة اتصالنا ومشاركتنا في طبيعة لا نملكها بل تملكنا.» ( روجي غارودي، 1999 : 215).

لقد عنى حوار الحضارات في عرف غارودي، مكافحة عزلة «الأنا» الغربية الصغيرة المتبجحة، والانفتاح على مضامين أكثر غنى وفاعلية في العلاقة مع الآخر، حيث سيكون من المفيد للثقافة الغربية أن تتجدد في إطار كوني شمولي. لكن المتأمل لتطور مسار فكر غارودي، يجد أن هذه الخلاصة المركزة لفكره، لم تكن كذلك في كتاباته الأولى، فقد راهن في البداية على فكرة الائتلاف بين المسيحية و الماركسية، حيث تدعو المسيحية إلى الإيمان و تحمل الماركسية أفكار التحرر، لكن باكتشافه للإسلام وتوطيد معرفته به و بغيره من أديان العالم و حضاراته، عمل على نشر فكرة حوار الحضارات ، والمرافعة لصالح اللقاء الإنساني المبدع، بحثا عن الآفاق و المساحات الحضارية المشتركة. يقول غارودي في ذلك : «إن تجربتي بالحياة هي التي قادني إلى هذا اليقين ، و أوجبت علي الإدلاء بشهادتي .... إنها شهادة على تجربة كونية تشمل الكرة الأرضية بأسرها، شهادة فرح بالغنى الإنساني الذي حملته إلي ثقافات لا غربية وأناس من آسية ومن الأصقاع الإسلامية، ومن إفريقية و أمريكية اللاتينية،إنها شهادة تتناول ما بحث عنه وما أعتقد أنني اكتشفته في كل ثقافة من هذه الثقافات، لدى كل إنسان من هؤلاء الناس.» ( روجي غارودي، 1999 : 11).

كما أن من أهم ما اكتشفه أيضا أن بداية النهضة الأوروبية لم تكن في إيطاليا كما درج في الخطاب الغربي، وإنما في إسبانيا خلال القرن الثالث عشر وليست نهضة إيطاليا في القرن السادس عشر وما استتبعها في إنكلترا وفرنسا بعد ذلك إلا ثمارا بديعة للحركة العلمية التي عرفتها حواضر الأندلس في تجانس العناصر الدينية والعرقية المختلفة ومظاهر التسامح الذي ساد بينها، على خلاف عصر النهضة الأوروبية الذي هو مبدأ الأزمة الراهنة للغرب حيث تولد عنه النظام الرأسمالي والحركة الاستعمارية. (أنظر التعليق رقم 1).

وبعد تطرقه لأعماله ورحلاته وخبراته ومواطن زيارته ومعارفه على المستوى العالمي، يختتم غارودي مقدمته بعبارة لا تخلو من دلالة عميقة قائلا: «إنني أشعر بأني أكتب اليوم في ضوء معرفتهم، ويبدو لي أنهم ينظرون إلي ويحكمون علي، وأنه على عاتقي تقع مسؤولية الإفصاح عما علموني من ثقافات لا غربية، وعما يترتب علينا أن نمنحه منها لنبني المستقبل.» ( روجي غارودي، 1999 : 15).

ولقد تبنى محمد خاتمي، الرئيس الإيراني الأسبق، فكرة حوار الحضارات ودعا إليها في خطابه الشهير في الأمم المتحدة، هاته الأخيرة التي أعلنت العام 2001 سنة الحوار بين الحضارات كبداية مشرقة لقرن



جديد، مما أسهم في شيوع الاصطلاح وتجاوزه مرحلة البناء المفهومي، إلى عقد المؤتمرات الإقليمية والدولية وتبنيه على مستوى الخطاب السياسي. وقد انعقدت في عمان الندوة البرلمانية المشتركة يوم 05 ماي 2000 والتي حملت رقم 03 وتم تبني المواد الختامية ل «الحوار بين الحضارات والثقافات» بدون انتخاب، وكان عددها 21 مادة، حيث تناولت أهمية الحوار ودور البرلمانات ومسؤولياتها في التأسيس له وتعزيزه وإنجاح فعاليات سنة الحوار بين الحضارات. ولم يتخلف خاتمي عن تأكيد إيمانه بالحوار بعد الثلاثاء الأسود بأمريكا حيث قال: «إنني أعتقد أن مستوى العنف قد زاد حدة بعد الحادي عشر من سبتمبر، مما ألقى بضلاله على الحوار والتفاهم، لكنني أعتقد في المقابل أيضا أن حركة واعدة باتجاه الحرية والتفاهم ونبت العنف قد ولدت من رحم العنف في العالم، إنني أعتقد أيضا أنه ينبغي أن نرسم هدفا واحدا مشتركا، محاربة التطرف والأحكام المسبقة الخطيرة التي تكون في أي دين أو ثقافة أو حضارة في الشرق أو الغرب.» (MKhatami: Dialogue).

والحق أنه بالتوازي مع تواتر نبرات الكراهية والعداء وصناعة الحروب، كانت تتعالى على الدوام من بين العوالم المختلفة، أصوات الحكمة ودعوات السلام لجعل الأرض مكانا أفضل للعيش المشترك ولو من باب تسجيل المواقف، أو هكذا يبدو على الأقل، فقد رأى هارولد

مولر مثلا في مشروعه المضاد لهتنتغتون أن صراع الثقافات ليس من صنع قوى الطبيعة بل من صنع البشر ولذلك يمكن لهم أن يتخطوه. (هارولد مولر، 2005: 10).

فالتجارب المتنوعة للبشر في الشرق و الغرب هي الكفيلة بإعطاء الإجابات للمشكلات المصاحبة للتطور التقني المتسارع وأخطار البيئة والهجرة و التسلح، وبطبيعة الحال فإن الغرب لا يمتلك حجر الفلاسفة، ولا بد من الاعتراف بالآخر و التعرف عليه و هي الفكرة التي نادى بها زكي الميلاد الذي نحت مصطلح «تعارف الحضارات» انطلاقا من الآية الكريمة (13) في سورة الحجرات {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} حيث تبين له أن الخطاب موجه للناس كافة كما لو أنهم ينتمون إلى أسرة إنسانية واحدة ممتدة في الزمان و المكان، «الإقرار بالتنوع الإنساني في قوله تعالى « وجعلناكم شعوبا و قبائل»، و هذه حقيقة اجتماعية، وقانون تاريخي، فالله سبحانه و تعالى بسط الأرض بهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوبا و قبائل، و يعيشوا في بيئات و جغرافيات و مناخات و قوميات مختلفة و متعددة، لكي يعمرها هذه الأرض، و يكتشفوا كنوزها و خيراتها، و يتبادلوا ثرواتها، و يجعلوا منها بيتا مشتركا

وأما وتمدنا للجميع، علما أن القرآن الكريم لم يذكر في كل آياته عبارة «شعوبا وقبائل» إلا في هذه الآية. (زكي الميلاد، 2013 : 18).

وفي ظل الوضع الكارثي لاغتراب البشر في هذا العالم عن الشرط الإنساني نفسه ، فإن رفع رهان الاعتراف بالآخر و المعرفة العميقة به، بات شرطا ضروريا لرهان التكامل، و إلا فإن العكس قد يجيل الآخرين إلى اللامعنى الذي يلغى قيمة الوجود الإنساني نفسه ، لذلك فإن المشهد العالمي يحتاج لا إلى حضارة واحدة تختزل نتاج الآخرين و وجودهم، وتكرس تبعيتهم دون إرادة منهم، بل يكتمل بتكافؤ تمثيل جميع الحضارات بأطيافها العرقية وألوانها الثقافية و تركيباتها الاجتماعية ... تلك هي الصورة البنورامية التي أكد عليها الأستاذ زكي الميلاد في تبنيه لمفهوم تعارف الحضارات الذي رأى أنه أكثر ضبطا و صوابا من مفهوم حوار الحضارات ، و أوضحُ تعبيرا عن الرؤيا الإسلامية «التعارف هو الذي يؤسس للحوار و ينهض به ، وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارف الذي يرفع الجهل بصوره كافة ، الجهل المسبب للصدام بين الحضارات ، في المقابل أن التعارف هو الذي حافظ على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني .» (زكي الميلاد، 2014 : 87).

وقد ألقى الباحث التونسي محمد حسين فنتر، محاضرة في ممفيس بالولايات المتحدة الأمريكية في ماي 2010، دافع فيها عن ضرورة العمل على إقامة علاقات الصداقة والتعاون وكذلك تبادل الاحترام بين الشعوب، أيًا كانت أصولهم وثقافتهم ومعتقداتهم، وأنهى خطابه بصورة متفائلة قائلاً: «إنه لحلم جميل! لكن بإرادة الرجال لا شيء مستحيل، ينبغي أن يتولد عن الخطاب مشاريع عملية، علينا جميعاً أن نفكر فيها على مستوى المفهوم والفعل على حد سواء، إن المهمة معقدة وتتطلب توظيف الإيمان والعقل معاً لإنجاح هذا المشروع الضخم. إنه لينبغي علينا كلنا أن نؤمن به ونعمل لأجله». وبصورة محايدة، دعا طارق رمضان إلى إذابة صورة التعارض القائم بين الإسلام والغرب، ورأى أن ذلك مجرد إسقاط واعتبره وسيلة إيديولوجية محضة، معدة لاصطناع كيانات ندعوها للحوار، ويركز على أن هناك: «كثير من الإسلام في الغرب، وغرب كثير في الإسلام». فمن المهم حسبه، أن نفتح تفكيراً نقدياً داخلياً، ليفتح الغرب وأوروبا نقاشاً من الداخل، وينبغي أن يكون هناك نقاش مواز من داخل الإسلام وبين المسلمين للتفاهم الداخلي انطلاقاً من تنوع التجارب في الماضي (M'hamed Hassine FANTAR).

أما الكاتب والأكاديمي الجزائري مصطفى الشريف الذي استلم «جائزة الثقافة والسلام»، وتم استقباله من طرف الفاتيكان، فاعتبر أن

لقاءه بالبابا فرانسوا الأول هو امتياز سمح له «بتقديم الوجه الحقيقي للإسلام وتطلعاته لتعزيز الحوار بين الثقافات والأديان». ومن جهته، أكد البابا فرانسوا أنه «من المهم تعزيز الصداقة والاحترام بين التقاليد الدينية المختلفة لتحقيق التعايش السلمي بين الشعوب». (FDESOUCHEM).

### الدعوة إلى الحوار من القول إلى العمل :

لقد استحوطت إرادة بناء جسور التواصل بين عالمي الإسلام والغرب إلى انتداب هيئات ومنظمات تحمل الطابع المؤسسي فضلا عن صفتها الاعتبارية، فقد رصدت كثيرا من هذه المؤسسات بين ضفتي المتوسط خصوصا وعبر العالم، وهذه بعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

chrétienne Groupe d'amitié islamo-:GAIC-

مجموعة الصداقة الإسلامية المسيحية، في الصفحة الرئيسة على الانترنت نقرأ في التقديم «مؤلفة من مؤمنين، مسيحيين و مسلمين، مجموعة الصداقة الإسلامية – المسيحية، تأخذ على عاتقها مهمة المساهمة في تطوير معرفة متبادلة أكثر بين المجتمعات المسلمة و المسيحية في إطار من العلمانية المفتوحة. (FDESOUCHEM).

ومن اللافت أيضا أنه قد تم افتتاح ورشات للعمل منها: إسرائيل وفلسطين، الطرائق الروحانية، الاشتراك في الأعياد، ورشة القديس أوغسطين والأمير عبد القادر. ولعل أكثرها إثارة للانتباه هي الورشة المسماة (لنعش النصوص) *Vivre les textes* التي تتخذ هدفا لها العمل على النصوص التأسيسية للأديان (العهد القديم والجديد، القرآن والأحاديث والأحاديث القدسية ... وبمقاربات مختلفة: التحليل القصصي، التحليل البنيوي، المقاربة التاريخية النقدية، ومن جهة التحليل النفسي المعمق ...)

ولهذه المؤسسة نظائر أخرى منها: *La maison Islamo-chrétienne*، البيت الإسلامي - المسيحي، ونقرأ في الصفحة الأولى «إن بناء بيت لا يتمثل فقط في رفع الجدران ليأويننا، يجب حماية العقل. يجب أن نعيش معا رغم فوارق اللغة والثقافة والدين، نعيش ونحن نتبادل الكلام مع بعضنا. نعيش باختراع طريقة ليسمع أحدنا الآخر.» (FDESOUCHEM)

Service National pour les Relations avec  
les Musulmans- CNRM -  
Groupe de Foyers Islamo-Chrétiens- GFIC  
-مجموعة العيش المشترك الإسلامية المسيحية

نجد في التقديم: من أجل الاختلافات الثقافية والدينية، مجموعات مسيحية وإسلامية جريت ضرورة اللقاء. منذ 1977، تمت لقاءات ثنائية خاصة لتبادل التجارب وتعميق الإيمان، وذلك لتشابك الانشغالات ومساعدة الأزواج المختلطين.

ويقول فريق العمل المشرف أنه محايد، وأنه يمتلك صلات مع أشخاص ومنظمات راغبة في تنشيط الحوار والاحترام بين المسيحيين والمسلمين.

وتعمل المجموعة أيضا على عقد لقاءات بين آباء وأبناء مسلمين ومسيحيين في مختلف المناطق الفرنسية (FDESOUCHER)

- EL Kalima المركز المسيحي للعلاقات مع الإسلام

ومقره بروكسل.

- St Philip's Center (Leicester) مركز القديس

فيليب في المملكة المتحدة.

- Christian Muslim Forum CFM المنتدى

الإسلامي المسيحي في لندن.

وفي صفحتها الأولى: هو المنتدى الرائد وطنيا في العلاقات

المسيحية الإسلامية ... ونحن ندعم العمل الإنساني المشترك لمساعدة

اللاجئين. من أعماله محاولة إقامة توأمة بين الكنيسة والمسجد لتقري  
بوجهات النظر والابتعاد عن الكراهية المعادية لليهود في القدس.  
(FDESOUCHEM)

وعلى صعيد المؤسسة الدينية الرسمية، فإن الفاتيكان يتوفر على  
السكرتارية الخاصة للحوار بين الحضارات، وقد جمد عملها في 2006 وتم  
بعث نشاطها في 2008، حيث وقع 138 مفكرا وعالما رسالة تلتمس من  
البابا إجراء حوار مسيحي إسلامي في 2007. جدير بالذكر أن الفاتيكان  
قد اعترف في عام 1965 بتعددية الأديان ودعا إلى الحوار بينها.

ومن التقاليد الطيبة التي جرى العمل بها ما سمي بأسبوع اللقاء  
المسيحي الإسلامي- Semaine de la rencontre islamo-  
chrétienne. حيث جرت في 2015 أكثر من 90 مقابلة في كبريات  
المدن الأوروبية (58 مدينة)، وقد تم تمويل الحدث من طرف اللجنة  
الكاثوليكية ضد الجوع ومن أجل التنمية وهيئة المساعدة الإسلامية  
بفرنسا، وفي الفترة من 12 إلى 20 نوفمبر 2016 كان الأوروبيون على  
موعد جديد مع الحدث نفسه. ومن المؤسسات الرائدة أيضا، مؤسسة  
محمد أركون للسلام بين الثقافات.



وفي الجانب المقابل، استحدث الأزهر الشريف مركزا لحوار الحضارات، كما أنشأ الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران. وفي تونس، افتتح مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة، وأنشئ كذلك كرسي في الجامعة التونسية أسندت له هذه المهمة. واللافت للنظر أن منظمة السلام الآن في إسرائيل تعمل على إحلال السلام وتدعو إلى إقامة دولتين إسرائيلية وفلسطينية، وإلى نبذ العنف ووضع حد للاحتلال.

ولقد انخرطت الأمم المتحدة في مسعى الائتلاف الحضاري، فأست (تحالف الحضارات) التابعة لهيئة الأمم المتحدة في 2005 ومقرها نيويورك والتالي تتخذ شعارا لها: (ثقافات متعددة، إنسانية واحدة). وقد عملت الهيئة الأمية على ترويح ثقافة السلم في المجتمعات و بين الحكومات في وسائل الإعلام ، فكان منتدى مدريد 2008 و اسطنبول في 2009 وريودي جانيرو في 2010 و الدوحة في 2011 وفيينا في 2013 وبالي في 2014 وباكو في 2016. وقد خصص منتدى دافوس الاقتصادي العالمي في عام 2000 جلسة لمناقشة مسألة حوار الحضارات.

واستكمالا للبناء المعرفي والمنهجي لهذه الورقة البحثية فقد راسلنا أغلب الهيئات المذكورة، لفحص رؤاها حول موضوع حوار الحضارات ومدى إيمانها به وتعويلها على إحياء الشعارات المتفائلة التي ثلوح بها في

منشوراتها وفي مواقعها. وقد تضمن نص الرسالة أسئلة ثلاثة كنا مهتمين بالحصول إجابة لها، هي على النحو التالي:

1- إن حوارا فعليا بين الحضارات يتطلب إرادة حاضرة وتحضيرات حثيثة ومتابعة جدية، هل تعتقدون أن الحواضن الحضارية تمتلك فعلا الصفات المذكورة؟

2- من يحاور من؟ وبعبارة أخرى. لإجراء حوار مثمر بين الإسلام والغرب، من هو المؤهل لحوار «الأخر»: هل هو السياسي أم رجال الدين أم المثقفين؟

3- من خلال تجربتكم الخاصة: هل يمكن توقع نتائج طيبة؟ أو على الأقل تفاهمات بين حضارات العالمين المسيحي والإسلامي؟ أفترض أنكم متفائلون.

ولقد كانت الردود الواردة متقاربة و وجهات النظر متقاطعة في مساحات كثيرة ، خاصة و أن هذه المؤسسات و الهيئات تضم في الغالب نخبا من المثقفين و رجال الدين الذين يؤمنون بضرورة الحوار، ولو اختلفت رؤاهم في آلياته العملية و وسائله الإجرائية باختلاف مواقعهم الوظيفية و الحضارية، وعلى الأقل فإن «الإيمان الدافئ المتعاطف بوجود نية طيبة أساسا بين الناس الذين ينتمون إلى حضارات منفصلة، هو بالطبع مختلف تماما عن التشاؤم البارد القاسي لمن لا يرون إلا الصراع والعراك

بينهم ، لكن كلتا المقاربتين تشترك في الاقتناع الاختزالي نفسه بأن البشر في كل مكان من العالم يمكن فهمهم و تصنيفهم مسبقا وفق الحضارات المنفصلة التي ينتمون إليها. « (امارتياصن2008، 54).

### أمل الحوار و واقع الصراع :

من حيث المبدأ فإنه لأمر طيب ومحفز أن تتعارف الحضارات وتتواصل و تتحاور ، فقد توالى في العقود الأخيرة المواقف والكتابات حول موضوع حوار الحضارات، خصوصا مع تزايد مظاهر العنف والتطرف، إذ تولد الوعي بضرورات السلام والعيش المشترك بين الشعوب، لكن دعوات الحوار تلك و الرؤى الحاملة لعالم أفضل لم تتجاوز فيما يبدو الخطابات الطوباوية والكتابات المتفائلة والقاعات المغلقة، فقد رأى محمد عابد الجابري أن « الذين يرفعونه واقفين عند منطوقه ينطوي موقفهم على نوع من الغفلة، ذلك لأن الحوار بين الحضارات أما أن يكون عفويا تلقائيا نتيجة الاحتكاك الطبيعي فيكون عبارة عن تبادل التأثير، عن أخذ و عطاء ، بفعل الصيرورة التاريخية ، و هذا النوع من تلاقح الحضارات لا يحتاج الى دعوة ولا يكون بتخطيط مسبق، بل هو عملية تاريخية تلقائية ... وإما أن يكون المقصود به هو تنظيم حوار مقصود بين أهل هذه الحضارة و تلك ، فإن الأمر ليس بالبساطة التي يبدو بها الأمر في بادئ الأمر، ذلك لأن أهل حضارة ما ليسوا جميعا على

وفاق، بل هم مجموعات مختلفة يقوم بينها صراع بصورة أو بأخرى  
»(الجابري،1997: 131).

بيد أن العالم الواقعي لم يتنصل يوما من أسباب النزاع ووقائع النصر  
والهزيمة أمام الآخر أيا كان و أينما كان ، لذلك تبدو الدعوة إلى حوار  
الحضارات أشبه ما تكون بالسباحة ضد التيار في ظل الاستقطاب الحاد  
بين القوى العالمية وتأكيد غلبة الأقوياء على الضعفاء، وذلك ما لا يحتاج  
إلى برهان فالأمثلة كثيرة و متنوعة .

ولقد ساد الادعاء في السنوات الأخيرة بفكرة صدام الحضارات  
وحروب النفط والهوية واستئناف الدور التاريخي للدين في قضايا الصراع  
في مناطق ساخنة كثيرة،والحق أن هناك تواترا حادا وتجاوزات حضارية  
كثيرة هنا وهناك. لقد شهد القرن العشرين حربان عالميتان وأنتج كثيرا من  
الأيديولوجيات الشمولية كالنازية والفاشية والأصوليات المتطرفة  
والجرائم الاستعمارية، ولم يتخط العالم الجديد إلى حد هذه اللحظة،  
تجارب الأسلحة الفتاكة وحروب الدعاية والإعلام والاقتيال الطائفي  
والمذهبي فضلا عن خطر الحروب الكونية التي تهدد مستقبل البشرية  
بأكملها.

لذلك فالقائل بعدم جدوى حوار الحضارات، يقف على أرضية  
صلبة بالاستناد إلى المعطى الواقعي والتاريخي،وفي ظل الشواهد المقلقة

التي تملأ عالم اليوم من تصاعد لموجات العنف بين أتباع الديانات والثقافات وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تظاهراتت أخيرا في الصور المسيئة للنبي الكريم (ص) وحرقت المصاحف في نيويورك وحضر النقاب في فرنسا ومنع المآذن في سويسرا وجملة الأحداث والحوادث اليومية في بلاد الغرب. ثم إن ملفات ثقيلة يضج بها تاريخ علاقة الإسلام بالغرب وتلقي بظلالها على الحاضر والمستقبل، وجب الحوار حولها كالماضي الاستعماري وإرادة الهيمنة ومجازر الهولوكوست ضد العرب (أنظر التعليق رقم 2). والقضية الفلسطينية والجاليات المسلمة في العالم (أنظر التعليق رقم 3). والإسلاموفوبيا والتبادل الثقافي والأمن الغذائي والشراكة الاقتصادية والتنمية المستدامة والطاقات المتجددة ومكافحة التطرف والسلم الدولي...

وتعرف صورة الإسلام في الغرب سيلا من الصور النمطية المظلمة، من المقررات الدراسية وصناعة السينما إلى المخيال العام المجتمعي، فقد نقلت الأستاذة زيغريد هونكه نصا دراسيا لأطفال أوروبا، يقول: «وتدفقت جموع العرب المتوحشين بوجوههم السوداء و خيلهم الكئيبة فوق أرض إسبانية التي تركها أهلها فزعا، و انثنت الأرض ألما تحت وقع سنابك خيولهم التي خربت الحقول وهدمت المنازل ولم تترك نبتاً ولا زرعاً.» (زيغريد هونكه، 1986: 539).

فالنظم التربوية الغربية تتحمل مقدارا لا يستهان به من المسؤولية عن تلك الصورة المشوهة للمسلمين عند الغرب ، ف« غالبا ما يعطى الأولاد الغربيون في عمر معين صورة سلبية عن المسلمين والعرب، وتؤدي الكتب المدرسية دورا حيويا و مميزا في التأثير في الانطباعات والتفاعلات الاجتماعية للطلاب » (جوكينشلو،1986:254).

ورغم أن العرب لا يمثلون إلا 20 في المائة فقط من مجموع المسلمين في العالم، فإن العالم الإسلامي يُختصر كله في صورة نمطية مشوهة لأمة من البرابرة يدينون بدين يتميز على الأخص بقطع الرؤوس و بتر الأطراف واضطهاد النسوة، فهم غالبا «إرهابيون مهووسون أو خاطفون طائرات أو بدو يركبون الجمال، أو شيوخ نفظ يشتهون النساء الشقراوات ويعقدون صفقات السلاح وفي نيتهم السيطرة على العالم.» (ممدوح الشيخ ، 2007: 96).

ولا يظهر العربي كأى شخص عادي في العالم يؤدي وظيفة ويعيش حياة طبيعية وسط عائلته وأقرانه، لكنه دائما في موضع الريبة والالتهام «ومنذ ظهور فيلم «أسيرة البدو»1912 وحتى فيلم «رسالة البجع» 1993 سيطر على صورة العرب نمط البدو الذين يحاولون

اغتناب بطلة الفيلم الشقراء أو خطفها أو قتلها.» (ممدوح الشيخ ،  
2007: 103).

لتلك الأسباب ولغيرها، يبدو الكلام عن الحوار الحضاري بتلك  
السهولة التسطيفية دونما دلالة لعدم تكافؤ القوة، فليست كل الأطراف  
مستعدة بالدرجة نفسها للاعتراف والتنازل، و بكلمة فإن العوائق أكثر  
من المحفزات، و قد تمثل هيرفيغارديت Hervé Gardette بؤس دعوى  
الحوار الإسلامي المسيحي في قوله: «نادى الراهب كريستيان دو شرجيب  
إحياء لاهوت اللقاء Théologie rencontre de la لكن تم اغتياله  
من طرف الإسلاميين في الجزائر عام 1996.» (France culture،  
Hervé Gardette)

واستقر في فكري ريجي دوبراي Régis Debray أنه لا جدوى  
من حوار الحضارات، وذلك ما يجليه مضمون كتابه ويتلخص في عنوانه  
Un mythe contemporain: Dialogue de civilisations  
ومن زاوية النظر الواقعية، فليست الحضارات كتلاً متجانسة حتى  
يمكن لأي واحد من الأجزاء تمثيل الكل، ولو كان الأمر بهذه البساطة  
لأمكن التوفيق بين شتى القناعات و الاتجاهات في العالم المسيحي أو  
الإسلامي في نفس البعد من الفهم والتحليل. لذلك لا يمكن تجاوز  
إشكاليات تمثيل جميع الخصوصيات حتى داخل الكتلة الثقافية الواحدة

«و لمعرفة مدى العجز التواصلي الذي يمكن أن ينتج عن البنية الثنائية للتوابع، يكفي أن يتصور كل منا انغلاقه الشخصي داخل هوية / علامة مميزة طائفية عرقية، ثقافية، جهوية أو وطنية.»

وتمثلا لذلك، أنه وفي خضم دعوات الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب، ومحاولات مد جسور التفاهم في هذا الاتجاه، فإن الانطباع السائد اليوم أن التشظي الحاصل في جسم العالم الإسلامي، أعقد من أن تُجلبه محاولات «لم الشمل» هنا وهناك من عقلاء وعلماء ظلت محاولاتهم طريقها بسبب التعصب المذهبي و التشرذم الطائفي و الولاء السياسي. وانتصارا لمبدأ الفرقة الناجية، فإن الاتجاهات الإسلامية لا تحترم في الغالب بعضها البعض، ولا يذكر أحدهم حسنات الآخر ولا الوجه المشرق لفكره وتاريخه، ولا يستدل بمشائخه و أعلامه وإن كان مشهودا لهم بالصلاح والعلم...وفي ظل التطورات الأخيرة واتساع دائرة العداء إلى حروب دامية على جبهات عدة في البلاد العربية بدا من العبيثي الكلام عن حوار إسلامي-إسلامي، حيث بلغ التشنج مداه بين دول المحور السني والشيوعي و التنظيمات التابعة والموالية لكل منهما في الحالة السورية والعراقية واليمنية، و داخل البلد الواحد حيث يغلب الطابع السياسي والإيديولوجي بين الإخوة الفرقاء كما يجري في مصر وليبيا مثلا. وقد عبر عن ذلك جيل ليوفتسكي في مقال له حول كتاب



«أقول الغرب» لميشال أونفراي، حيث قال: «ليس الإسلام كتلة واحدة منسجمة، ففكرة صدام الحضارات لا تصمد أمام واقع أن العدو الأكبر للإسلام ليس الغرب، لكنه الإسلام الآخر، الذي يتمظهر من خلال المواجهة الأخوية الدامية بين الشيعة والسنة.» (Atlantico: Gilles Lepovatsky)

وإن كنا لا نستبعد منطق المؤامرة و الاختراق السياسي والمخابراتي في ذلك، مضافا إليه عوامل الغزو الفكري والاستلاب الثقافي.

تعاني المجتمعات الإسلامية والغربية على حد سواء مما سماه مكسيم رودنسون «صعوبة الرؤية» Le mal de voir وهو ما يلقي بظلاله على عدالة التواصل والتفاعل والتكامل، وإلا فكيف نفسر أن يعيش ثلثي سكان الأرض تحت خط الفقر، في حين يعاني الأغنياء من أمراض السمنة والإشباع اللامحدود في عالم ينتج مرة ونصف احتياجات سكانه حسب تقرير الغذاء الصادر عن الأمم المتحدة.

#### الخاتمة:

أخيرا نقول، أنه حتى وإن كان تجسيد الحوار الحضاري صعب المنال في ظل التوجه السائد نحو المواجهة، فإننا لانزال نعول على ضرورة تغليب صوت العقل و الحكمة من جميع العقلاء في العالم لجعله مكانا

أفضل للعيش، وبقدر ما نثمن دعوات الحوار من العوالم المختلفة و رغم أننا لا نعتقد أن ذلك يبدو وشيكا إلا أننا لا زلنا نحتفظ ببعض التفاؤل لمستقبل أفضل للبشرية المنهكة. إن قيم السلام والتعايش والتعاون متطلبات عاجلة لكل البشر و الحوار الحقيقي يكمن في التواصل البناء والمشارك واستغلال وسائل الإعلام والتواصل ومنابر الفكر والدراسات والأبحاث في توفير مناخ ملائم من التفاهم و التكامل مع الآخر.

### التعليقات والشروح:

1- انتهى غارودي عبر مسار تحليله في عدة مناسبات أن حضارة الغرب آيلة للانتحار، وأن الغربيون هم حفارو القبور للبشرية، واتهمهم مرة أخرى بتصدير الأصولية الغربية إلى العالم، والتي هي مبدأ الأصوليات الأخرى ومنها الإسلامية، وهي تتسم غالبا بالعنف والفكر المتحجر.

2- كشفت دراسة أجراها البروفيسور غيرهارد هوب مؤخرا أن العرب المسلمين كانوا أيضا ضمن ضحايا المحرقة النازية، حيث تفيد الدراسة التي سميت (مخاطر التذكر) أن 1130 مسلما جاءوا من المغرب والجزائر وتونس ومصر والعراق ولبنان وفلسطين وسوريا، وتم اعتقالهم كأسرى

حرب، وبعضهم لأسباب سياسية أو عنصرية وتم تشغيلهم في السخرة للإفادة من مجهودهم في تصنيع آلة الحرب النازية، حيث مات بعضهم مرضا أو قتلا في معسكر زكسنهاوزنو لعدم كثير منهم بأمر هيملر وزير الداخلية النازي. للمزيد يرجى الاطلاع على كتاب: ثقافة قبول الآخر لمدوح الشيخ، مكتبة الإيمان، المنصورة (ج.م.ع)، الطبعة الأولى، 2007

3- تعاني أغلب الأقليات المسلمة في العالم مشكلات التمييز والإقصاء وأخطار القتل والإبادة من الفئات السكانية الأخرى ذات الديانة الأكثر انتشارا أو بحكم طبيعة الحكم في البلاد، فلا زالت الذاكرة تحتفظ بجرائم الجنود الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك وما فعله الجيش الروسي في أفغانستان والشيشان وما تلقاه الأقليات المسلمة في الهند والصين من اضطهاد، أما أحداث بورما آراكان وإفريقيا الوسطى والقتل البشع، فقد وصلت حدا لا يطاق، ومع ذلك لم يتحرك العالم المتحضر لإيقاف هذه الجرائم ضد الإنسانية.

## المراجع:

### القرآن الكريم

أمارتياصن، (2008). الهوية والعنف، ترجمة سحر توفيق، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

الجابري محمد عابد، (1997)، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية.

الدواي عبد الرزاق، (2012). «الفلسفة في عصر العولمة وتكنولوجيات الاتصال» مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 41، ص 179.

الشيخ ممدوح، (2007). ثقافة قبول الآخر، الطبعة الأولى. مكتبة الإيمان، المنصورة (ج.م.ع).

غارودي روجي، (1999). حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، الطبعة الرابعة. بيروت (لبنان): عويدات للنشر والطباعة.

مولر هارولد، (2005). تعايش الثقافات، تعريب: إبراهيم أبوهشيش، الطبعة الأولى: دار الكتاب الجديد المتحدة.

- الميلاد زكي، (2014). تعارف الحضارات، الطبعة الأولى. دار الكتاب اللبناني (بيروت): دار الكتاب المصري (القاهرة).
- هونكه زيغريد، (1986). شمس العرب تسطع على الغرب، الطبعة 6. بيروت (لبنان) : منشورات دار الآفاق الجديدة.
- وشيرلي شتاينبرغ جوكينشلو، (2005)، التربية الخاطئة للغرب، ترجمة حسان بستاني ، ط1 ، دار الساقى.